بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ محمد خير غنطوس

مقاصد الاحتفال بالمولد

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حكم فعدل وأعطى فأجزل، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أفضل نبي أرسله، ورحمة وهداية للعالمين كمله، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وسلم تسليماً كثيراً أبداً يا رب العالمين.

أما بعد عباد الله، فاتقوا من قال في كتابه العزيز: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

أمة الرسول الكريم، الحق يخاطبكم، وينبهنا في هذه الكلام لشيئين عظيمين:

الشيء الأول: فضل الله، والشيء الثاني: رحمة الله، أما فضل الله فهو الذي أوجدك وأعطاك، وسخر لك الأرض، وجعلها لك مهاداً، وجعل السماء بناءً، وأنزل من السماء ماءً، فأنبت لك أيها الإنسان، وجعل لك عقلاً تفكر به، وجعل لك إرادةً، وجعل لك مصيراً ومآلاً، فأنت في هذه الدنيا قد تكون قد حصلت على شيء منها، جمعت شيئاً من حطامها، من مال أو جاه أو منصب أو أي شيء، يُذكرك الله بأنك إذا أردت أن تفرح الفرح الحقيقي الذي يَنتقل معك بعد موتك إلى مآلك وإلى قبرك فافرح بفضل الله، قد تفرح بتجارة كسبت منها المال الكثير، قد تفرح بولد نال مرتبة عالية، قد تفرح بزوجة من عائلة مرموقة، قد تفرح بوظيفة كبيرة، قد قد قد ...، والله يذكرك ويقول لك إذا أردت أن تفرح فافرح بالذي فضل عليك بكل ذلك، فإذا فرحت به أولاً ثم كان استثناء بفرح من الدنيا فأنت من الفائزين، وأما إذا كان فرحك في الدنيا للدنيا فإنها أول المفارقين عند موتك أيها الإنسان،

فرحت بمال، فرحت بزوجة، بأولاد، بإنجاز، بأي شيء، بمصنع، بمتجر، بمكتشف أنت اكتشفته، بكمبيوتر أنت صنعته، بتلفاز أنت صنعته، بمختبر أنت فعلته، كل هذا ستتركه وترحل، وسيرحل عند رحيلك عنك، وأما إذا فرحت بفضل الله فستجد هذا الفرح معك ولو رحلت عن الدنيا، لأنك ترحل من الدنيا إلى الله.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ فضل الله العلم، هكذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره لهذه الآية، قال أما فضل الله فهو العلم، وقال غيره من المفسرين: فضل الله الإيمان والإسلام والقرآن. وأما الرحمة ماذا قال عنها سيدنا ابن عباس؟ قال: فضل الله العلم، ورحمته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا رحمة مهداة) فرحمتنا التي يَجب علينا أن نفرح بها هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا فرحنا بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كنا من المحسنين، كنا قريبين من فضل الله علينا، كنا قريبين من عطاء الله لنا ومغفرته ورضوانه، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] والمقصود بكلمة رحمة الله هنا عند بعض المفسرين أن الرحمة هذه هي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وتصديق ذلك قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] قريبة أم قال قريب؟ قال بالمؤنث أم بالمذكر؟ قال قريب من المحسنين، فالمقصود هنا رحمة الله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فإذاً فرحنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصد من هذا؟ والكلام الآن عن ذكرى ولادته عليه الصلاة والسلام، يعني الفرح بذكرى ولادته صلى الله عليه وسلم، وها هو شهر ربيع قد أتى، أو كاد، وقد ولد سيد الوجود في الثاني عشر من ربيع الأول، يوم الإثنين، اسمع المقصد من فرح أهل الله، من فرح أهل لا إله إلا الله، من فرح المسلمين، بذكرى ولادة نبيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

المقصد الأول: هو تعظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قلوبنا، تعظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في حياتنا وفي قلوبنا، عند أولادنا وعند أزواجنا، في مجتمعاتنا، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] ومن أعظم شعيرة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكره الله وعظمه في القرآن وفي غير القرآن، ذُكر تعظيم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، تعظيم أخلاقه، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ذكر في القرآن وفي غير القرآن، في سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) أو كما قال عليه الصلاة والسلام، فإذاً تعظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المقصد الأول من الاحتفال بذكرى ولادته كل عام.

المقصد الثاني: فرح بقدومه إلى هذه الدنيا صلى الله عليه وسلم، واتباع لسنته، عندما نفرح بقدوم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نحن نتبع فعله، هكذا فعل فرحاً بسيدنا جعفر، في يوم من الأيام عاد سيدنا جعفر من الحبشة، ومعه من معه من المسلمين، ومعه الأشعريون، فعندما وصل سيدنا جعفر إلى المدينة المنورة كان نبينا صلى الله عليه وسلم قد فتح يومها خيبر، فُتحت خيبر وجاء جعفر، فقال عليه الصلاة والسلام –اسمع ماذا قال عليه الصلاة والسلام–: (لا أدري بأيهما أنا أشد فرحاً: بقدوم جعفر أم بفتح خيبر) فإذاً قدوم ذاك الرجل الصالح الصحابي الجليل جعفر جعل فرحاً في قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف لا نفرح بقدومه إلى هذه الدينا وقد أخرج الناس بقدومه من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الوهن إلى نور العلم والفهم، ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الحديد: ٩] فإذاً مقدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذه الدنيا له شأن عظيم عند الله، فيجب أن نعظمه في قلوبنا كمسلمين، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] فنتبع النبي

صلى الله عليه وسلم، هل الاحتفال بمولد نبينا محمد عليه السلام اتباع أم ابتداع؟ هل هو بدعة أم هو اتباع لسيدنا النبي عليه الصلاة والسلام؟.

المقصد الثالث: اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذاك الشأن، عندما جاء سيد الوجود إلى المدينة المنورة دخل إليها فوجد اليهود فيها يصومون يوم العاشر من المحرم، فسألهم لماذا تصومون هذا اليوم؟ قالوا نصومه فرحاً بأن نجى الله موسى وبني إسرائيل من فرعون وجنوده، يَصومونه فرحاً فماذا قال صلى الله عليه وسلم؟ قال: (نحن أحق بموسى منهم، لئن أحياني الله إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر) فإذاً ماذا فعل نبينا عليه الصلاة والسلام؟ عظم ذلك اليوم العاشر من المحرم يوم عاشوراء، عظمه لماذا؟ لأن به الله نجى موسى ونجى بني إسرائيل من فرعون وجنوده.

أيضاً سُئل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الإثنين، يصوم يوم الاثنين، فقال صلى الله عليه وسلم: (ذاك يوم ولدت فيه، وفيه أنزل علي) فإذاً هو يحتفل به، يحتفل به بطريقة من الطرق وهي الصيام، فإذاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما نحتفل بيوم ولادته إنما نحتفل اتباعاً لسنته، وهل أسألكم سؤال، ألا يفرح أحدنا إذا جاءه عظيم؟ جاءك رجل قدير من عائلتك كبير العائلة، جاءك رجل قدير من العلماء، من المحبين، من أهل الله، من أهل الفضل جاءك، ألا تفرح بمجيئه إليك؟ وأنت أهل كرم وجود، أما إذا كنت رجل بخل فتفرح وإن جاءك أبوك، أتفرح؟ تحزن، وإن جاءك أبوك، وإن جاءك ولد، تقول سيأكل على مائدتي، هذا إذا كنت بخيلاً، أما أنت إذا كنت ذا كرم فتفرح بمن أتاك، فيا مرحباً بضيفي، بضيف الله، الضيف ضيف الله، وإكرامه واجب، فأنت إذا كنت ذا كرم تفرح، فكيف إذا كان ضيف هذا الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أهلت ذكراه علينا في كل عام، وهذا من فضل الله علينا.

المقصد الرابع من الاحتفال بذكرى ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ذكر أنباءه عليه الصلاة والسلام، لأن المولد في اللغة هو وقت ولادة المولود أو مكان

المولود، هذا في اللغة، وأما في اصطلاح علماء الشرع ماذا قالوا؟ قالوا: هو قراءة للقرآن، وذكر لقصص من قصص سيدنا محمد، ومن أنباء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الآن عندما نفعل في بلادنا بلاد الشام، نفعل مولداً لذكرى ولادته عليه الصلاة والسلام، ماذا نقرأ؟ ماذا نفعل؟ نبدأ المولد بقراءة عشر من القرآن الكريم، ثم يقوم المدّاحون فيمدحون سيد الوجود محمد عليه الصلاة والسلام، والقرآن الكريم تلاوته شيء مأمورون به، ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤] شيء من السنة ومن الإسلام، ومدح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان أصحابه يمدحونه في حضرته، حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم كانوا يمدحون النبي صلى الله عليه وسلم، حتى في المسجد، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُصنع لحسان منبر ليمدح وينافح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذاً مدحُ النبي عليه الصلاة والسلام موجودٌ في حياته، وقد بدأ مدحه الله حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فإذاً القرآن ومدح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ثم يقوم بعد ذلك عالم من العلماء أو اثنان أو ثلاثة فيتكلمون عن شمائله وعن خصائله وعن جماله وعن حبه وعن حياته وعن أهله وآل بيته وعن أصحابه، وعن ما جاءنا من الفضل والكرم والجود، فهذا ذكر لأنباءه، وبهذا يثبت الإيمان في قلوبنا، فإذاً نقصد من ذكر أنباءه أن يُثبت الله في قلوبنا نحن المسلمين، وخاصة في هذه المعتركات، معتركات الحياة التي نحن بها، والتقلبات التي نحن بها، الآن يُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يُصبح مؤمناً ويُمسي كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، القابض على دينه كالقابض على جمرة، زمن أصبحنا فيه يَجعل الحليم حيران، ألا نحتاج إلى مُثبتات لقلوبنا على الإيمان؟ هذه الأشياء ذكر أنباء سيد السادات محمد عليه الصلاة والسلام تُثبت قلوبنا على الإيمان، فهل نحن نحتاج -سائل يسأل الآن، يخطر في قلبه الآن سائل، يسأل الآن- وهل نحن نحتاج إلى أن يثبت الله قلوبنا على الإيمان، نحتاج؟ سيجيبك القرآن

الكريم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] إذا كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ذَكر الله له أنباء الرسل السالفة وقصصهم ليثبته، ماذا ليثبت قلب النبي عليه الصلاة والسلام، فكيف نحن بهذا الزمن الذي هو آخر زمن، ونسأل الله أن يُحسن ختامنا، وأن يثبتنا على الإيمان، ألا نحتاج إلى مثبتات؟ فهذه من مثبتات الله لنا على إيماننا، ذكر أنباء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذكرى ولادته، أو أثناء الاحتفال بذكرى ولادته، هذا شيء مُهمٌ جداً لنا، فيجب علينا أن نحافظ على ذلك الأثر، هذا أثر من آثاره عليه الصلاة والسلام، الاحتفال بولادته أثر من آثاره صلى الله عليه وسلم، هو قام به بنفسه، حيث صام ذاك اليوم، كل يوم اثنين يصوم احتفالاً بولادته وشكراً لله على أن منَّ به علينا أهل الشام، اللهُمَّ مُنَّ على أهل الشام بالاحتفال بذكرى ولادة سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، فكثير من المسلمين، ومن بلدان المسلمين، لا يَعبؤون بتلك الذكرى، ولا ينظرون إليها، وحتى إذا نظروا إليها جاء المكفرون وجاء المبتدعون ويقولون لهم: هذا شرك، هذا ضلالة، هذا بدعة، إذا كان فرحنا بذكرى ولادته بدعة وشرك، فبماذا نفرح؟ بماذا نفرح؟ اسمع، اسمع ماذا قال، عن العباس رضي الله تعالى عنه قال: رأيت أخي أبا لهب في المنام بعد وفاته، وهذا موجود في شرح صحيح البخاري، قال: رأيت أخي أبا لهب بعد وفاته في المنام، فسألته كيف حالك؟ قال: في شر منذ فارقتكم، قال: ولم؟ قال لأني خالفت دين ابن أخي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن الله [هو فين هلئ؟ في النار] إلا أن الله يُخرج لي من يدي أو يخفف عني العذاب كل يوم اثنين، ماذا؟ يخفف عني العذاب كل يوم اثنين، قال له العباس: ولماذا؟ قال: لأني فرحت بولادة ابن أخي محمد، وأعتقت ثويبة الأسلمية فرحاً بولادته، عندما ولد النبي عليه الصلاة والسلام، هذا حديث عن العباس، يرويه أنه سمعه من سيدتنا آمنة زوجة عبد الله، والدا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، سمعه من السيدة آمنة قالت: كنت وحدي

في بيتي فريداً عن كل من يؤنسني بعيداً، وعبد المطلب في طوافه، –هذا الكلام موجود في كتاب الأنوار المحمدية للسيد النبهاني– وعن كل من يؤنسني بعيداً، وعبد المطلب في طوافه، عبد المطلب جد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قالت: فجاءني الطلق، أو جاءني المخاض، قالت: فنظرت عن يميني فرأيت كأساً من لبن أبيض من الثلج، فشربته فأصابني نور عال، فنظرت فإذا بنساء أو بنات طوال، كأنهن من بنات عبد مناف، فقلت: ويحي من أين علمن بي، فقلن: نحن مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وهذا الحديث يَطول، وسنؤجله لكم كاملاً بعد الخطبة إن شاء الله، نتكلم به كاملاً إن شاء الله بعد الخطبة، وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

بتصرف

مديرية أوقاف دمشق